مكانة خصائص ابن جني في الدرس اللساني.

ما إن يذكر كتاب الخصائص حتى يتبادر إلى الذهن إسم مؤلفه ابن جنيّ، وبالمثل إذا ذكر الخصائص فإنه يذهب بالفكر إلى كتابه الشهير الخصائص، فهو بحق من أجود الكتب التي أجادت بها قريحة هذا النحوي الشهير، وأذهلت عقول المتأخرين من الدارسين الراغبين في استنباط خصائص وأحكام اللغة العربية، أقدم الرجل على ضبط أغلب الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية والنحوية.

عُرف ابن جنّي بفكره الموسوعيّ فتعذّر تصنيف مادة الخصائص، فبين من يجعله كتاب في التصريف، ومن يذكر بأننه كتاب في أصول النحو، ورأي يقول بأنه موسوعة لغوية حوت كل تلك الدراسات، وتلك الجوانب. حتى بات يستقطب الدارسين الذين أقبلوا على كتابه ومادته شرحا وتفسيرا وتصنيفا، وسواء في ذلك القدماء والمحدثون.

ـ العنوان:الخصائص

أما عن عنوانه فقد تداولت له تسميتان أحدهما أشهرمن الأخرى، أما الأشهر فهي **الخصائص** و هذه نجدها في أغلب كتب النحو و التراجم التي ذكرت ابن جني و مؤلفاته.

أما الأخرى فهي **الخصائص في النحو** وهي قليلة الورود في كتب النحو و التراجم. و قد جاء على لسان ابن جني في مؤلفه : "واعتقاديى فيه أنّه من أشرف ما صنف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر وأعوده عليه بالحيطة والصون. وآخذه له من حصة التوقير والأون، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة " فالخصائص يعني بها خصائص العربية في كلامه أعلاه."

بين ابن جني من خلال مقدمة كتابه سبب تأليفه له ، ويمكن حصرها في النقاط الآتية :

1- لم يتعرض علماء المذهبين البصري والكوفي إلى علم أصول النحو والتأليف فيه : "...وذلك أنا لم نرى أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه".

2- رأى ابن جني أن ما ألف في علم أصول النحو لم يكن كافيا : "فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه ، إلا حرف أو حرفين في أوله ، وقد تعلق عليه به ، وسنقول في معناه. على أن أبى الحسن قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيبا إذ أنت قارنته بكتابنا هذا علمت بذاك ...". (يقصد بأبي بكر محمد بن السري المعروف بالسراج، كان من أأمة النحو المشهورين، أخذ عن أبي العباس المبرد وله مصنفات حسنة منها كتاب الأصول)

3- أراد ابن جني تلبية طلب البعض من تلامذته التأليف في هذا العلم : " ثم إن بعض الذي يعتادني ويلم لقراءة هذا العلم بي، ممن آنس بصحبته لي ، وارتضى حال أخذه عني ، سأل فأطال المسألة ، وأكثر الحفاوة والملاينة ، أن أمضي الرأي في إنشاء هذا الكتاب ، وأوليه طرفا من العناية و الانصباب".

تعددت الأبواب التي تضمنها كتاب الخصائص حتى بلغت المائة والاثنتين وستين

بابا ، وقد وتنوعت مواد هذه الأبواب حتى تكاد تغطي جل علوم العربية ولهذا عد الكتاب موسوعة في علوم العربية التي نذكر أهمها :

علوم اللغة: لقد درس ابن جني في (الخصائص) الكثير من المسائل المتعلقة باللغة العربية، وقدم دراسات كانت و لا تزال لها أثرها في الثقافة اللغوية ، و يعد ابن جني من أعظم العلماء الذين قدموا نموذجا مشرقا لمباحث اللغة في التراث العربي المعرفي ، فبدت اللغة في (خصائصه) لغة تميزت بسمات حسن تصريف الكلام والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء .

كما ناقش ابن جني مسألة نشأة اللغة التي كانت تشغل مكانا مهما في البحوث اللغوية آنذاك وميز أيضا بين اللغة و الكلام إلى حد ما.

نظرية ابن جني من خلال كتاب الخصائص.

اعتمد ابن جني المنهج الوصفي في منطلقه البحثي، فاعتمد نظرية محددة لبنية الكلمة المفردة في نطاق دراسة الأصوات التي تتألف الكلمات منها، وسعى إلى اكتشاف القوانين التي تنظم العلاقة بين الأصوات في الكلمات، فبحث في الاشتقاق وأنواعه، ودرس التقليبات الممكنة للكلمة الواحدة مما أكد على وحدة المعنى ، و أفضى به ذلك إلى القول بوجود علاقة طبيعية بين الصوت و المدلول. فبحث في القوانين الصوتية العامة للنظام اللغوي .

تميز منهج ابن جني في كتابه بعدة صفات نذكر منه:

- كان ابن جني يذكر تعدد الوجوه ويرجح الأصوب ويذكر الخلافات ويرجح الأجدر، وقد يحكم بالأخذ بها جميعا ويبرر ذلك بالتعليل ويدعمه بالدليل.
- لم يقتصر ابن جني على الجمع والاحتذاء بغيره في جمع مادته وتدوينها بل أضاف العديد ووسع القول واستحدث الكثير.
- نجح ابن جني في عقد باب خاص للإجماع وتكلم عنه فذكر أنواعه ومثل له.
- نجح ابن جني في فتح باب الاستشهاد حيث استشهد بكلام معاصريه كالمتنبي وابن الشجري لثقته في فصاحتهم.
- يعتمد ابن جني في طرحه وتحليله للمادة اللغوية على أسلوب المناقشة والحوار بإثارة الأسئلة والإجابة عليها وتحليل الظواهر وتعليل الحكام من أجل الخروج بنتيجة ثابتة وقاعدة محددة ، كما كان يكثر من التقسيمات وتعدد الفروض.